الآراء الواردة في الصفحة تعبر عن وجهات نظر كتابها ، وقد لا تتفق بالضرورة مع وجهة نظر الجريدة

رحلة في فيافي الصحراء الكبرى

ليالٍ بين الملثَّمين في صحراء بلا سقوف

"حاولت الضغط على ذاكرتي ، عدة مرات وانا اجوس في صحراء ليس لها نهاية بعد ان تجاوزت مدينة ديمبكتو الشهيرة ، في محاولة لاستعادة شريط المناظر المماثلة لنهر دجلة عندما عبرت نهر النيجر في العاصمة المالية باماكو ، غير ان ذلك الشريط كما لو ابتلعته الصحراء. حتى ليبدو منظر الماء اشبه بمعجزة. ويبدو ان صاحبي الطوارقي ادرك عمق ما افكر فيه ، اولعل ذلك من باب الخبرة فالحياة بين السماء وصحراء رمالها انعم من الباودر ، تشكل تحدياً لا يمكن الاطمئنان إلى امكانية تخطيه أو تجاوزه. فالصحراء تكرس في الانسان الخوف والرهبة كلما امضى في التوغل فيها حتى يستوطن احساس الوحدة حتى لو كان مع عدد من الناس ، فلا اهمية لذلك ما دام ان هؤلاء الناس لهم حدود يحيطها البصر وقدرة يقيمها العقل."

حليم الاعرجي
كاتب

للصحراء اجواء لا يمكن فهمها إلا من خلال المعايشة المستديمة، كثيرون فقدوا حياتهم عندما اعتقدوا ان لديهم الخبرة الكافية في صحراء لا تحتفظ بخطوط مستقيمة ودلالات ثابتة وتفرقات معلمة للطرق التي تتداخل فيها الآثار من الاقدام البشرية وارجل الابل والخيل والحيوانات الوحشية والسيارات، ولم تنفع في كثير من الاحيان الاجهزة من مكان إلى آخر ونعمة رمالها، بحيث كثيراً ما جعل ان غطت هذه الرمال ارتالاً من السيارات المزودة بأحدث الاجهزة ومعدات الاتصال بالأقمار الصناعية في حين يجزم صديقي الطوارقي من ان ذلك لم يحدث بالنسبة لقوافل الطوارق لانهم يعرفون كيفية تحاشي هذه الجبال الرملية المتنقلة.

كان احساسي في اليوم التالي لمنظر المياه قد تعاظم ونحن ما زلنا نقطع الصحراء باتجاه الحدود الجزائرية المالية، حيث تتواجد هناك قبيلة صديقي الذي كان ومن معه يحاولون ايجاد الكثير من الامور المسلية التي تبعد عني ضجر استمرار رؤية الصحراء المترامية الاطراف والسماء الزرقاء. بيد اني كنت أيدي حرصاً متزايداً لاقناعهم باني لست غريباً عن اجواء الصحراء، غير اني كثيراً ما كنت اردد بيني وبين نفسي: "شتان ما بين هذه وتلك". في الساعة الرابعة مساء. أي بعد اكثر من عشرين ساعة بالتمام والكمال، بدأت تظهر للعيان تدريجياً في الافق البعيد أشياء سود عالية سرعان ما بشرني بها صديقي، بانها تخيلات بئر عشمان التي تقع على واحته الصغيرة قبيلته. بدأ صديقي وكانه جدد حديثه بعد ان نام لبعض الوقت وهو يحدثني عن "عشمان" البئر والواحة وحبه الذي لم يعش طويلاً، بسبب انه حب فتاة لم تكن له اصلاً بل هي لابن عمه الذي يكبره سناً. ويأخذ نصار وهو اسم صديقي الطوارقي نفساً عميقاً من سيجارته قبل ان يردف قائلاً: نظام الحماية لمجتمعاتنا الطوارقية سواء في مالي أو النيجر أو موريتانيا أو الجزائر أو المغرب أو تشاد أو ليبيا أو مصر، هو احترام التقاليد بصراحة وانضباطية عالية، فليس هناك اعلى من التقاليد ولا ارسخ من القيم: تلك واحدة من بين اهم الدروس التي ينبغي على الطوارقي ان يفهمها ويعيها.

ويمضي في الحديث وقد اتضحت معالم الواحة وظهرت بيوت مختلفة في طراز البناء ما بين خيام أو بيوت من القش على شكل نصف دائرة فمنها إلى الاعلى وهي قليلة الارتفاع ويسكنها عادة الفقراء فيقول:

لقد دخلت في مجتمعاتنا وسائل الاتصال الحديثة واجهزة الراديو والتلفزيون وبعضنا يقرأ الصحف ويكتب فيها ولدينا شعراء ومثقفون وطلاب في الجامعات، غير ان أي شيء من عاداتنا لم يتغير أو يتبدل. فكل شيء كما هو.

وقفت سيارة الرانجروفر التي استقلها في عشمان ومعها السيارات الثلاث الأخر أمام خيمة كبيرة من الشعر، خرج منها ثلاثة رجال يتقدمهم رجل سبعيني يبدو انه كبيرهم. حيث اسرع فصار يعرفني به حيث قال: انه والدي. ثم التفت إلى والده يقدمني: انه صديقي صحفي من العراق. وقبل ان اجلس في موضع تجمعت فيه الوسائد. دنا مني الرجل مرحباً وهو يقول بلهجة لم افهمها قبل ان يترجمها لي صاحبي وهو يضحك بخجل: "واين تقع بلدتكم أهي في ليبيا" وأردف صديقي: لقد صار الأن كما ترى كل شيء من ليبيا. وكل شيء يحمل اسم ليبيا.

لم يطل بنا المقام في البيت الشعري، فقد تصايح القوم للصلاة. هنا الحياة واضحة المعالم محددة التكوين، فليس هناك اكثر من خمسة أو ستة مجالات تكون الحياة. الاجتماع بعد العشاء وانجاز اعمال الرعي وإدارة شؤون البيت من قبل المرأة والسقي والنزول إلى مدن قريبة للتسوق وهذه العملية تتم في الشهر مرة أو مرتين ومن قبل افراد متخصصين يمتازون بمعرفة جيدة بابناء المدن القريبة التي يتسوقون منها. برغم ان بعضهم يفضل التسوق من "ديمبكتو" برغم انها بعيدة.

واسأل: هل كلكم مسلمون؟ ويرد علي الشيخ محمد الذي تخرج على يد احد المشايخ في جامع ديمبكتو الكبير منذ أكثر من خمس سنوات.. نعم في هذا المكان، بيد ان اماكن أخرى، فيها مبشرون نصارى، وقد ارتد الكثير من المسلمين عن دينهم. ونحن مهددون بفرق تبشيرية محتملة، لاننا نحتل مكاناً مهماً من وجهة نظرهم. فموقعنا هذا يشكل آخر واحة في نقطة التقاء الحدود الجزائرية مع الحدود المالية مع الحدود الموريتانية في جهة الشمال الغربي بالنسبة لمدينة تمبكتو، وكذلك بالنسبة لباماكو العاصمة المالية.

❖وكيف هي حالكم..؟

حياة معقدة وسهلة

-لسنا في راحة. فقد استجدت امور كثيرة ادخلتنا في مشاكل جانبية لا علاقة لنا بها. نحن لا نحلم باكثر من حياة آمنة مستقرة. بيد ان شيئاً من هذا القبيل اصبح الآن امنية صعبة المنال. نحن لسنا وحدنا في هذا العالم الصحراوي المترامي الاطراف، والتي نفضل ان نسميها عالم الصحراء الكبرى. الممتدة من الساحل الغربي من نهر النيل مروراً بليبيا وتشاد والنيجر والجزائر والمغرب وموريتانيا ومالي والسنغال. هذا العالم المجزأ، هو وكل سكان هذه الصحراء، هم الطوارق أو الامازيغ، برغم ان هناك من يحاول تقسيم وتوزيع هذا الشعب إلى شيع وملل واقسام واجزاء.

حياة الطوارق معقدة، غير انها في نفس الوقت بسيطة، ليست هناك صعوبة في توفير احتياجاته، لانها اصلاً بسيطة، ليله يبدأ مبكراً، وينتهي مبكراً، فقبل شروق الشمس يبدأ ضجيج حركة الحيوانات، مواش "حمير وخيل وجمال" وتبدأ المرأة بالاعمال المنزلية الخاصة. والمرأة الطوارقية سافرة، كل شيء في تقاسيم جسدها النحيل ظاهر للعيان، وكذلك شعرها الذي تحرص على تغطيته باشارب، والنساء بعكس الرجال، فالرجال ملثمون باحكام. وكبارهم يصبغون انفسهم بالنيل، حتى لتبدو الاجزاء البارزة من جسده "اليدين والرقبة والقدمين والعينين" وكأنها قد خمرت في لون النيل.

قصة اللثام

وتختفي خلف قضية اللثام قصص وحكايات تبرر وتفسر اللثام، يحدثنا الشيخ محمد عن واحدٍ من هذه القصص فيقول:

ان غازياً غزى احدى القبائل الكبيرة، ولم يكن بالخيام إلا النساء والاطفال، ورجل هرم مقعد، لكنه حكيم وفطن، فاشار ذلك الحكيم على نساء القبيلة ان يلبسن ملابس الرجال ويتلثمن بالعمائم، اخفاءً لانوثتهن ولخوفهن وترددهن، وعندما فعلن ذلك ووقفن وجهاً لوجه مع العدو، بايديهن السيوف والفؤوس، اسقط بيد العدو الذي ذهل من خطأ معلوماته. فحملت النساء عليه حملة واحدة، اهتز لها كثيراً، خصوصاً ان رجال القبيلة ظهروا خلفه في هذه اللحظات الصعبة، قرر الغزاة الهرب بعد ان اثخنوا بالجراح. ومنذ ذلك اليوم، إلى الطوارق على انفسهم ألا يضعوا اللثام عن رؤوسهم. تخليداً لهذه الواقعة.

ولكن هناك من يفسر هذه الظاهرة تفسيراً آخر فيه انتقاص من شجاعة الطوارقي واخلاقه. حيث لا تجد من الادلة المادية والدلائل الواقعية ما يؤكدها أو يؤيدها. يقول هذا التفسير، ان الطوارقي "لئيم" وغير شجاع، فهو يقتل ويغدر ويخفي نفسه لكي لا يعرفه احد. وهذا الأمر غير صحيح اطلاقاً، فالطوارقي لا يبعد عن المكان الذي يولد فيه. وهو لا يدخل في بيع أو شراء أو مخاصمة إلا ضمن المنطقة التي يتواجد فيها وبالتالي فان كل من يعيش معه أو بالقرب منه يعرفه من لثامه، فليس اللثام على طريقة واحدة أو بشكل واحد، بل هو يختلف من مكان إلى آخر.

وهناك من يفسر اللثام تفسيراً دينياً، مرتبطاً بالامر الإلهي وغضوا من ابصاركم ويفسر علم الأيكولوجيا اللثام تفسيراً بيئياً مرتبطاً بالظروف المناخية للصحراء الكبرى، حيث تتعرض للعواصف الرملية التي لا يمكن مواجهتها ولا مواجهة الرمال الناعمة إلا باللثام. وقد اضطررت إليه في اليوم التالي من اقامتي في "عشمان" عندما حملت الريح رمال صفراء ناعمة، تدخل من بين الثقوب غير المرئية في السيارة لتتجمع في حضني فاضطر إلى ازاحتها وقد فعلت ذلك عدة مرات خلال اقل من ساعة. وعندما نزلت من السيارة لم تحم عيوني النظارات ولا المنديل. فما كان مني إلا ان تلثمت مثلهم لاشعر بالراحة برغم تعرق رأسي ووجهي.

المهم ان الكثير من الطوارق يصر على ان للثام معاني تتصل بالعفة، خصوصاً ان اللثام مقرون عادة بصبغ النيل الذي يوحي بمغادرة عالم البهرجة والزينة. في حين ان نساء الطوارق لا يبخلن على انفسهن في المكياج برغم ان جميلاتهن يحملن أسوأ وأقبح الأسماء، في حين تنفرد القبيحات بأسماء جميلة جداً.

والمرأة الطوارقية قوية الشخصية معتدة بنفسها برغم ان نسبة الامية بينهن تتجاوز الـ ٩٠٪ وتتزين المرأة الطوارقية، بخلاخيل من الذهب أو النحاس في الساقين، واساور من الفضة في المعصمين، وخواتم في الاصابع، وقد تبلس المرأة ملحفة مزركشة ملونة وترتدي الثريات منهن بعض المصوغات الذهبية والعقيق اليماني والخرز المختلفة الاشكال. وهي تعتني كثيراً بملابس البيت حيث تستقبل زوجها بالروائح الطيبة والملابس الفضفاضة. اما الرجال فيلبسون دراعة فضفاضة مطرزة الجيب، ويتحلى في الاغلب بخنجر أو سيف، ويتفننون في تزيين مقابض سيوفهم.

على ذكر السيوف، يحدثني صديقي نصار، ان السلاح الوحيد المستعمل في الصحراء الكبرى ومن قبل الطوارق الذين يبلغ عددهم أكثر من "٢٠" مليون نسمة هو السيف ولا شيء غير السيف. وقد شاهدت بام عيني معركة بين عشيرتين من الطوارق في مدينة دبميكتو اثناء زيارتي لها في نيسان عام ٢٠٠٦، استخدم فيها الطرفان السيوف والرماح والابل والخيل، وكأني أشاهد فلماً سينمائياً يصور معركة في عصر ما قبل اكتشاف البارود. ومن حسن الحظ لم يحدث ان ذبح احد باستثناء عدة اصابات بسيطة تم معالجتها موقعياً. ومن هنا دخل السيف والرمح والجمل في حياة الطوارقي. وهم يعتقدون ان كلمة "الجمال" في اللغة العربية مشتقة من "الجمل"، والاناقة مشتقة من "الناقة" وأحياناً كثيرة، عندما يمر احد الشعراء الشعبيين باطلال محبوبته يقف سائلاً الطلل عن "الجمال اللي راح امع الجمال".

القاعدة هناك

"دخلوا الينا من باب القاعدة" قال ذلك شبوب تومي السياسي والمثقف الطوارقي المعروف، واضاف: لقد كنا نعيش بامان الله وحفظه، نطور مطالبنا من الحكومات التي ننتمي إليها وفق مبدأ "خذ وطالب" وبشكل لا تثير فيه خصومة أو عداوة، فذلك امر لا نريده ولا نسعى إليه، وحتى عندما احتدم الامر بين الامازيغ في الجزائر والحكومة الجزائرية قلنا رأينا في الموضوع وهو: ان هناك مزايدات في طلب الحقوق الثقافية، وان مرد هذه المزايدات وجود طرف ثالث هو فرنسا، الآن الخط الداهم دخل علينا من باب القاعدة، قالوا ان هناك فصائل تابعة للقاعدة منها التوحيد والجهاد وغيرها. اقدمت على خطف سياح ومبشرين اجانب ودخلت في مشاكل مع الحكومة المالية وحكومة النيجر وتشاد والجزائر وليبيا. ونحن كطوارق نعتقد ان ذلك مقدمة لاستباحتنا من قبل القوى الدولية المتصارعة. وزاد متشائماً، لذلك فانا غير متفائل من مستقبل اوضاع الطوارق إن لم يسارعوا إلى ايجاد حلول عملية يتفادون بها دخولهم دائرة الاستقطابات الدولية ففي عالم يشن حرباً على الارهاب متمثلاً بالقاعدة لا بد من ان يتواجد حيثما يكون عدوه.

❖وماذا عن وضعكم كطوارق في مالي..؟

-نعيش في شمال جمهورية مالي كأقلية لها حقوق قومية معترف بها من قبل الحكومة المالية على اثر اتفاق تم التوصل إليه بوساطة جزائرية، انهى حركة مطالبة مسلحة استمرت للفترة من ١٩٩٠ إلى ١٩٩٦ للمطالبة بمنح المناطق الصحراوية حكماً ذاتياً، ومن ذلك الحين انخرط الطوارق في خدمة بلدهم بالتعاون مع اخوانهم الماليين، ورئيس وزراء مالي من ابناء الطوارق.

الطوارق؟

ولكن من الطوارق..؟

يسود اعتقاد خاطئ لدى بعض الباحثين العرب والمسلمين حول الاصول التاريخية للطوارق، حيث يعتمدون التفسير اللغوي، باعتبار ان كلمة طوارق مشتقة من اسم طارق بن زياد الفارس العربي المسلم المعروف، وسبب اللبس ان طارقاً يعود لاصول "بربرية" وبدو الطوارق بربر.

يقول الدكتور فرحان معطوب وهو تدريسي امازيغي التقيته في باماكو العاصمة المالية، في مقهى نادر على ضفاف نهر النيجر الواسع والمتدفق بالمياه: الحقيقة ان وجه العلاقة الوحيد هو كون الاثنين الطوارق وطارق بن زياد هم من البربر. اما الطوارق فهم لا يسمون انفسهم بهذا الاسم الذي اطلقه عليهم غيرهم فقط، وانما يتسمون: تماشق أو تمازج أو امازيغ ومعناها الرجال الاحرار، اما طوارق العربية، وتطلق محلياً "توارق" فهي مشتقة من تازقة وهي منطقة في ليبيا احدى اماكن تواجد الطوارق.

ويضيف الباحث السوداني نجاد عبد الله مهدوي. مهما قيل بصدد هذا الموضوع، فان هناك تنازعاً بين اولئك الذين يريدون جعل الطوارق كياناً مستقلاً وقومية متميزة. وبين من يراهم جزءاً من الامة العربية بل ان مثقفين عرباً كثيرون ينفون وبشدة وجود "بربر" بين السكان العرب في شمال افريقيا. انما جاءت التسمية من قبل بعض المبشرين والمستشرقين والتجار الاوروبيين لوجود الشبه بينهم وبين قبائل "البربارز" في اوروبا والذين كانوا يمتازون بالوحشية والقسوة والصلابة والجهل.

عموماً.. الآن الطوارق يشكلون وضعاً خاصاً برغم توزعهم على عشر دول تحيط بالصحراء الكبرى، وقد شهدت السنوات الاخيرة، عدة تحركات طوارقية تستهدف الحصول على وضع افضل في الدول التي ينتمون اليها، فقد اعترفت الجزائر أخيراً باللغة الامازغية ثانية بعد العربية ولكنها ليست رسمية، بمعنى انها ليست للمخاطبات الرسمية كما تم تعيين عدد منهم في مناصب حساسة لهم حقائب وزارية، وكذلك الحال في مالي والنيجر وتشاد، الجديد في وضع الطوارق ظهور ليبيا في اوساطهم بصرف النظر عن انتماءاتهم الوطنية تحت شعارات تحث اهل الصحراء الكبرى على الوحدة الصحراوية ومن النادر ان لا تجد الشعارات الليبية وصور الرئيس معمر القذافي في مناطق مختلفة من الصحراء، ويؤكد الطوارق ان المستقبل مليء باحتمالات عديدة، والاحتواء الليبي للطوارق ليس إلا احد الاحتمالات غير انه الاقوى والاكثر فعالية نتيجة تعاون الولايات المتحدة الامريكية معه.

وجميع الطوارق مسلمون على المذهب المالكي ويتحدثون باللغة الامازغية وبلهجات مختلفة ويذهب البعض إلى اعتبار ان اللغة الامازغية بلهجاتها المختلفة، هي اللغة العروبية القديمة وباللهجة القرشية. وعندما تسأل الطوارقي اينما تلقت، يقول انه قادم إلى هذه المنطقة من اليمن وينتسبون إلى حمير، غير ان المجد في الامر ان اللغة الامازغية تكتب باحرف فينيقية او كما يسمونها هم "التيفيناق". وقد اشتهر فرسانهم في الفتوحات الاسلامية وفي عهد المرابطين خاصة. وملامحهم عربية واضحة برغم ان بعضهم يميل إلى سمرة واضحة بحكم التعرض الطويل للشمس والاختلاط بالافارقة كقبائل الهوسا المسلمة بالنيجر والماتدينغ الفولاني في جمهورية مالي.

ويستخدم الطوارق كلمة "كل" للإشارة إلى "آل" في العشائر، فعندما تريد ان تقول: آل نصار أو آل غزاف فانك ينبغي ان تقول "كل نصار وكل غزاف.. الخ.

حياة لا تعرف الهدوء

لا يعرف الطوارق رجالاً ونساءً واطفالاً الكسل برغم صغر دائرة اعمالهم. فمنذ الصباح الباكر يجلس الجميع. فالناس والحياة لا يرحمون من ينام بعد شروق الشمس خصوصاً ان الشمس هي بدورها لن تبخل في ايجاد ظروف منع الاستمرار في النوم بعد ان تبدأ في الصعود إلى كبد السماء. حيث تكون المرأة قد اعدت "السويق" أو الجريش من "أنلى" للافطار، ثم يقوم الرجال بجلب الشياه التي لم تحلب امس، ثم يقوم بجمع الدلاء والقرب والحمير والشياه والابل استعداداً للورود على البئر. وفي البئر توجد قواعد واسس لا يمكن تجاوزها أو تخطيها لاي سبب ومن قبل أي شخص. فالشياه اولاً ثم الحمير ثم الابقاء ثم الابل. ويؤخذ من الابل فحل قوي يربط عليه الدلو للسقي، فان لم يوجد فاقوى حمارين أو ثلاثة. وكل ذلك يجري في تنظيم دقيق وبعمل جماعي، وبعد شرب الحيوانات كلها، تملأ القرب وتغسل الأواني ويغتسل الرجال ثم الأطفال ثم النساء حيث توضع مسقفات من الجلد تحجب الرؤية.

قبل الظهر بقليل يكون الجميع قد عادوا إلى مرابعهم وسط فرحة غامرة بالماء الذي يستقبل بكل حفاوة. ويجلس الرجال بانتظار الغداء الذي يكون في العادة "عصيدة" ومعها اللبن أو الدهن وفي بعض الاحيان اللحم، وقبل مغيب الشمس، تبدأ النسوة باعداد الفرش التقليدية امام البيت للسمر. حيث يتوجب على الجميع التواجد ولا عذر لمتخلف إلا إذا كان على سفر أو ان احدهم يبحث عن نعجته التي ضلت عليه عند المنعطف الذي يؤدي إلى البئر. وينقسم الرجال قبل السمر في الحليب إلى حلابين وهم الذين يفهمون طباع الحيوانات ويعرفون كيف يحلبون الحليب، والحراس على الجديان، والوسطاء الذين يخرجون الجديان إلى امهاتهم.

عالم محدود، مسافاته قصيرة جداً ومتطلباته متواضعة جداً، ومع ذلك فهو قاسٍ جداً.

اصول ومشاكل

الصحراء التي يتواجد فيها الطوارق الذين ينتمون إلى ثماني دول أو اكثر، تسمى أزواد، وأزواد منطقة واسعة تقطنها قبائل الطوارق أو الملثمين ويسمون ايضاً الرجال الزرق، تعيش كبدو رحل في الصحراء المترامية الاطراف، وهم ما زالوا يحافظون باخلاص على عادة اللثام المطبق للرجال لحد لا يسمح بخروج اكثر من اهداب العينين، في حين ان المرأة في الاغلب الاعم غير محجبة، ولكن ما المناطق التي يتواجدون فيها وما الذي يميزهم عن غيرهم من البربر؟ ثم ما اهم مظاهر ثقافتهم؟

تختلف تقديرات سكان الصحراء الافريقية من الطوارق بين عدة ملايين ومليون ونصف، بيد ان صديقي عبدال زواد خديح السوربون الفرنسية والموظف في ممثلية الامم المتحدة بالنايجر: ان عدد الطوارق يربو على العشرين مليون!! أيد ذلك احد الدبلوماسيين الليبيين في مالي رفض ذكر اسمه قائلاً: ان الطوارق يسكنون اكثر من ١٣ دولة وهي: مصر وليبيا والسودان والجزائر وتونس والمغرب وموريتانيا والسنغال ومالي والنيجر وتشاد ونيجريا واوغندا، ويسكنون الصحراء بكثافة، وكل دولة من هذه الدول، حاولت وتحاول نفي وجود الطوارق لديها أو التقليل من عددهم لابقائهم بعيدين عن الثقافة والعصرنة للسيطرة عليهم، تحدد مناطق تواجد الطوارق بمنطقتين رئيسيتين:

الاولى: طوارق الصحراء وهم المتواجدون في جنوب الدول العربية في شمال افريقيا ومنطقة خزان بليبيا واهم قبائلهم: الهقار أو "كل هفار" وتجدر الملاحظة هنا ان كل "كل" معناها أهل أو بنو أو آل عندما تذكر قبل القبيلة أو العشيرة. وايضاً قبيلة وكل آجر في صحراء الجزائر وقبيلة كل إيمنغاس وكل اوراغن.

الثانية: طوارق الساحل وهم قبائل كل آيير وكل بلمدن بالنيجر وكل ايترام وكل ادرار وكل تدمكت في حوالي تومبكتو ومنعطف نهر النيجر في مالي وهي التي كنت ضيفاً عليها وكل انصار وكل نص وكل السوق وكل غزاف وكل آدرار ايفوغاس بمالي. وهذه القبائل تشترك بلغة واحدة هي الامازغية ولها نفس الثقافة.

يكثر الطوارقيون الحديث عن وجود تطهير عرقي لهم في مالي، مشيرين إلى انهم اضطروا إلى اعلان الثورة التي راح ضحيتها عشرات الآلاف من الابرياء طوال عشرات السنين، وبعد ان اشتد الامر على حكومة مالي طلبت توقيع صلح ادى إلى تحسين نسبي للاوضاع، ويؤكد ان ذلك ليس كافياً، وانهم سيعاودون الثورة مرة اخرى ان لم تستجب حكومة مالي لمطالبهم. وما يحصل في مالي حصل في الجزائر، بيد ان الرئيس الجزائري كان اكثر الجميع إدراكاً لاهمية التجاوب مع مطالب الطوارق بجعل اللغة الامازغية لغة رسمية للدولة إلى جانب اللغة العربية التي يعتبر الطوارق انها "لغة الأم" اما في النيجر فما زال الامر يكتسب المزيد من السخونة حيث يواصل الطوارق ثورتهم من اجل الحصول على "حكم ذاتي" أما في ليبيا فالامر مختلف، حيث يستمد الطوارق الآن المعونات والمساعدات من الرئيس الليبي الذي يعتبره بعضهم القائد الذي يقودهم باتجاه الاستقلال عند انبثاق الجماهيرية الصحراوية الطوارقية.